معناه نزّه ربّه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل
هذا قول ادم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما غير الموضع
الذى انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه
السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب
الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شئ من ذلك
ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه
الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اى اختبرناه واواب
قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى وقال ابن عباس وابن مسعود ما
زاد داود على ان قال للرجل انزل لى عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله
على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهو الذى ينبغى ان
يقول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان
يستشهد وحكى السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين
لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من
ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودى
ليس فى قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم
وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان فى نعاج غنم على ظاهر
الاية واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما
اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط و
عدهم فى القران عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبى من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم
يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب
وان ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد
همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء
والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام
عن ربه اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ولا معصية
فى همه اذا واما مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا
وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله يوسف
من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسى الاية اى ما ابرئها من هذا الهم
او يكون ذلك منه على التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل
وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام
فيه تقديم وتاخير اى ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد
قال الله تبارك وتعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال

كذلك

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى الاية قيل فى ربى الله وقيل الملك
وقيل همه بها اى بزجرها ووعظها وقيل همّ بها اى غمها امتناعه عنها
وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل
نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه
الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما
خبر موسى مع قتيله الذى وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قيل كان
من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة فى هذا كله انه قبل نبوة
موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية
فى ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لى قال ابن
جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش
لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل
ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى فى قصته وفتناك
فتونا اى ابتليناك ابتلاء قيل فى هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل
القاؤه فى التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله
ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة فى النار اذا خلصتها واصل الفتنة
معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل فى عرف الشرع فى اختبار ادى
الى ما يكره وكذلك ما روى فى الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه
ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدى وفعل ما لا
يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه
من اتاه لاتلافها وقد تصور له فى صورة ادمى ولا يمكن انه علم حينئذ انه
ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة
التى تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله
اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها
عندى وهو تاويل شيخنا الامام ابى عبد الله المازرى وقد تاوله قديما
ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام
مستعمل فى هذا الباب فى اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها
اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه
ما حكى عن النبى عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع
وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه قل
ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا فى سبيل الله قال اصحاب المعانى والشق هو الجسد الذى القى على

Copyright King Saud University